مجلة "نتائج الفكر" الصادرة عن معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة

العدد 07 . السنة 2021، ص 80–93
ISSN 2477-992x / EISSN 2773-2762

الدلالة الحجاجية للأمثال في القرآن الكريم

Argumentative semantics in Quranic parables

قويدر ربيعة[1]، محمد بشير باي[2]

1_ طالبة دكتوراه، جامعة الجزائر _1_ بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية، البريد الإلكتروني
rabiaakouider@gmail.com:

2_ جامعة الجزائر _1_ بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية، البريد الإلكتروني:mbachirbey@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/12/12	تاريخ القبول: 2021/01/09	تاريخ النشر 2021/01/20

ملخص البحث تركز البلاغة ولاسيما البلاغة الجديدة على الحجاج، إذ أنّه يُعدُّ من أهمّ مقوماتها وروافدها، ذلك ان الحجاج هو فنّ الإقناع إمّا بالفعل أو الترك. ويعد التمثيل آلية من الآليات البلاغية ذات التأثير القوي في نفس المتلقي، حيث أنّه مركب من صور فنية جمعت بين البعد الجمالي والحجاجي، وهي بذلك بمثابة فضاء حجاجي خصب.

والتفكير البلاغي الجامع بين مقصدية الإمتاع والإقناع في الأمثال القرآنية دفعنا لإنجاز هذه الورقة البحثية للوقوف عند الحجاج كمكون بلاغي، لنخلص إلى أنّ الأمثال القرآنية ذو طاقة حجاجية قائمة على الاستدلال، ولها أثر عميق في نفس المتلقي لقبول تلك التمثيلات وتمثلها.

الكلمات المفتاحية: الحجاج؛ الأمثال؛ الإقناع؛ الإمتاع

AbstractRhetoric, notably new rhetoric, focuses on qrgumentation. The latter is considered among its most important pillars, that is because argumentation is the art to persuade and convince, whether by action, or lack thereof. Parables and comparisons are rhetorical tools with heavy influence on the receiving end. They are constructed from imagery that combine both the aesthetical and argumentative dimensions, and thus create a rich argumentative space.

Rhetorical thought that combines the intent of enjoyment and persuasion in Quranic parables, has incited us to write this research paper, in order to present argumentation as a rhetorical componet, to eventually conclude that quranic parables possess an argumentative energy based on inference, that heavily impacts the receiving end to accept thes parables and their

Keywords: : Argumentation ; parables ; persuasion ; enjoyment.

المؤلّف المرْسِل: **قويدر ربيعة** ، **الإيميل**: rabiaakouider@gmail.com

المقدمة:

يعتبر الحجاج أحد أهم ركائز الخطاب، ومن وظائفه لتحقيق أهدافه، فتحقيق التواصل بين المتكلم والمتلقي منوطة بالحجاج، ومن هنا أصبح الحجاج أداة لمناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها ومصداقيتها، وغدا آلية مهمة في محاورة الأطراف المشاركة في عملية التواصل، والغرض من كل ذلك هو التأثير أو الاقناع أو الحوار.

ويستند الحجاج إلى مجموعة من الآليات الاستدلالية والتمثيل إحداها،من هنا جاء إدراج الأمثال في فحوى الكلام كآلية بلاغية حجاجية، يعمد إليه المرسل بغية التأثير في المتلقي واستمالته.

وبناء على ما سبق، كيف يتجلى الدور الحجاجي للأمثال في عملية الاقناع؟ وهل تعزى السمة الحجاجية في المثل القرآني إلى صوره الفنية البلاغية أم موافقته لأحوال المخاطبين؟ وما الدور النفسي الذي تحدثه الأمثال في النفوس لاستمالة المخاطبين؟.

وانطلاقا من الاشكاليات السابقة، يمكن القول أنّ الأمثال لها سمة حجاجية، وحجاجيته تنبع من بنيته، فهو قائم على الاستدلال بمعنى على معنى، وتجسيد المعاني وجعلها مرئية، وكان الدافع وراء إنجاز هاته الورقة البحثية هو إبراز القوة الحجاجية للأمثال القرآنية، وكيف أنها آلية بلاغية يمكن من خلالها تحصيل الاقناع والاقتناع.

ولبيان ذلك، اتبعت خطة تناولت فيها:

1 – الحجاج وأنواعه: وتناولت فيه

- تعريف الحجاج.
- أنواع الحجاج (الحجاج الفلسفي– الحجاج البلاغي– الحجاج التداولي).

2– التمثيل آلية حجاجية بلاغية، وفيه:

- ماهية التمثيل.
- القوة الحجاجية للأمثال.
- أشكال المثل في التصوير القرآني وبعدها الحجاجي.
- الخاتمة، أبرزت فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

1. الحجاج وأنواعه:

2. يُعد الحجاج من المواضيع التي تتجاذبها حقول فنية مختلفة، وتختلف مفاهيمه وأنواعه تبعا لذلك، غير أنه يوجد قاسم مشترك بينها يمُكِنُنا من حصرها وتصنيفها.

1. 1. تعريف الحجاج: يرد الحجاج في المعاجم على عدة معان منها (الغلبة)، يقال "حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجّة، والجمع حجج"[1]و"الحَجّة: البرهان، "[2] وقيل: الحجّة مادوفع به الخصم. والحجُّ: القصد. وحجّه يحجّه حجّا: قصده.[3] والحُجّة بالضم: الدلالة المبينة للحجّة أي المقصد المستقيم الذي يقتضي أحد النقيضين. وهي كلام ينشأ من مقدمات يقينية مركبة تركيبا صحيحا[4] فيكون من المعاني المستفادة للحجاج في المعاجم، أنه برهان يقصد إليه المرسل، للتأثير في المتلقي، ويغلبه على رأيه، ويصده عن معتقده، كل ذلك بمسالك وأدلة وبراهين صحيحة، القصد منها تحصيل الاقتناع.

أما اصطلاحا، فيرى طه عبد الرحمان أنّ " حدُّ الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[5] فتكون الغاية من الحجاج هي دفع المتلقي إلى الاقتناع بالدعوى، ذلك أنّ الحجاج عبارة عن "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم الاقتناع".[6] وعليه فالحجاج عملية غايتها حمل الطرف الآخر على التسليم بالدعوى المطروحة وتبنيها والتأثير فيه، عن طريق عرض مجموعة من الحجج، وبالاعتماد على مجموعة من الأساليب والآليات.

1. 2. أنواع الحجاج:

يعتبر الحقل الحجاجي حقل واسع، والمجالات التي تناولته متعددة، وتنحصر أهم أنواعه في حقول ثلاث.

1. **2. 1. الحجاج الفلسفي:** الحجاج الفلسفي هو "نسق من العبارات الفلسفية، والأصل فيه الاستدلال، يتكون من مقدمات وتسمى أدلة أو حجج، ونتيجة وتسمى أطروحة، وظيفته إثبات حقيقة أو خطأ أو احتمال.[7]

مبادئ الاستراتيجية الحجاجية الفلسفية:[8]

1_ شرح الموقف وتفسيره مع أو قبل التدليل عليه.

2_ الأصل في وسائل الإستراتيجية الحجاجية الفلسفية الاستدلال أي الحجّة المنطقية، ولا قيمة للحجة الواقعية أي الدليل إلا في سياق الاستدلال.

3_ عدم استخدام وسيلة حجاجية واحدة، وعدم استخدام نفس الوسيلة الحجاجية عدة مرات.

4_ الوضوح: وضوح اللغة والعلاقات المنطقية.

5_ التدرج في البناء الحجاجي.

1. 2. 2. الحجاج البلاغي: الحجاج البلاغي؛ هو الذي يتخذ من البلاغة مجالا له، ويتخذها أداة من الأدوات الحجاجية، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية، والأساليب الجمالية؛ أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معا، حتّى يتقبّل القضية أو الفعل موضوع الخطاب.[9]

1. 2. 3. الحجاج التداولي: يرى طه عبد الرحمان أنّ حدّ "الحجاج" "أنّه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، إنشاء موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة"[10] ويتمظهر البعد التداولي في الخطاب الحجاجي عموما على صعيد عدد من المستويات منها؛ مستوى أفعال الكلام، ومستوى السياق، وعلى المستوى الحواري أو التحاوري[11]

2. التمثيل آلية حجاجية بلاغية:

يعد التمثيل أحد الآليات البلاغية ذات التأثير القوي، والحضور الواسع في الخطابات، ومجال الحجاج فيه أوفر وأخصب.

2. .1. ماهية الأمثال: يرد التمثيل في المعاجم العربية على عدة معان، و المثل في الأصل بمعنى (النظير والشّبيه) ف(مثَلَ) يدل على مناظرة الشيء للشيء.[12] والمِثَلُ بفتحتين؛ اسم لنوع من الكلام، وهو ما تراضاه العامة والخاصة لتعريف الشيء بغير ما وضع له من اللّفظ، يُستعمل في السراء والضرّاء[13] والشرط في حسن التمثيل هو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف وإن كان الممثل أعظم من كل عظيم[14]

2. 2. القوة الحجاجية للأمثال:

إنّ الفنون البلاغية مثل (التمثيل والاستعارة والالتفات والتقابل والتفريع) آليات بلاغية لأنها تسهم في الإمتاع وفي الوقت نفسه تُعد حاملات للحجاج؛ لأنها تركز الفكرة وتطرحها طرحا مؤثرا ومقنعا، وانطلاقا من هذا فإنّ البلاغة مسلك رئيس من مسالك الحجاج والاستدلال، ذلك أنّ العلوم البلاغية تكتسب قوتها التأثيرية الحجاجية، كونها لا تخاطب العقل والذهن فحسب، وإنما تخاطب الوجدان أيضا.

والتمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل، واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع سورة الجامع الأبي، كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداء للمنكر في صورة المعروف، وإظهار للوحشي في هيئة المألوف.[15] قال الزمخشريّ: التمثيل إنما يُصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهّم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك؛ فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا بأمر استدعته حال الممثّل له، ألا ترى أنّ الحقّ لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور، وأنّ الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة، وكذلك جُعل بيت العنكبوت مثلا في الوهَن والضعف.[16]

وقد كشف الإمام عبد القاهر الجرجاني القوة التأثيرية للتمثيل في النص بقوله: "واعلم أنّ ممّا اتفق العقلاء عليه، أنّ "التمثيل" إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت في صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكَلَفًا، وقسَر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا. فإن كان مدحا، كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهزّ للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على المُمْتَدَح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغُرِّ المواهب والمنائح، وأسْيَر على الألسن وأذكر، وأولى بأن تَعلقه القلوب وأجدر، وإن كان ذما كان مسُّه أوجع، ومِيسَمه ألدغ، ووقعه أشدّ، وحدّه أحدّ، **وإن كان حجاجا**، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر... "[17] فكان ذلك أدعى أن يُحاجّ به، فيكون حجة دامغة، وبرهان قائم، ويفضي إلى التسليم والإذعان، لمن كان سليم الحس والوجدان.

ويعزز والاستدلال بالتمثيل مصداقية الكلام ذلك" أنه يزيد في الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له"[18] ذلك أنّ التمثيل يقوم على:

1_ يرتكز التمثيل على استدعاء صور تحكي أحداثا من أجل نقل أفكار مرجعية ذات قيمة رمزية.

2_ تقوم العلاقة فيه على مماثلة تتحقق بين عناصر أو بنيات تنتمي إلى مجالات مختلفة.

3_ يتجه نحو مخيلة الابداع ويتجاوز اللغة وحدود الواقع ويفهم عن طريق تحريك الذهن، مما يتطلب معالجة دينامية وإبداعية.

4_ إنّ الأساس في التمثيل يكمن في العلاقة بين الموضوع والحامل (وجه الشبه PHORE) وتوتر العلاقة بينهما.

ويعد بيرلمان أنّ الحجاج بالتمثيل مشروط بأنّ المثل المستعمل عليه أن يكون داعما لقضية ما؛ كي يصبح الحجاج مؤثرا، لأنّ التمثيل ينتقل من حالته الخاصّة ذات القبول عند المتلقي إلى حالة عامة تضم الرأي المدافع عنه.[19] فهو من العلامات الحجاجية المهمة، لأنه غالبا ما يرفد عملية الحجاج ويدفعها إلى الإقناع، من خلال تشكيله اتصالا مؤسسا لحجج مبينة على الواقع[20] وتظهر قيمته الحجاجية حين ننظر إليه على أنه تماثل قائم بين البنى[21] ومن المعلوم أن المتلقي يشارك المرسل عن طريق التمثيل ولهذا كان المثل "أنجح مطلبا وأقرب مذهبا في توضيح المعاني"[22]

3.2. أشكال المثل في التصوير القرآني وبعدها الحجاجي:

ةتناولت الأمثال الواردة في القرآن، مجالات عدة، الترغيب والترهيب، والكفر والإيمان، فتعددت صور وأشكال ورودها تبعا لذلك"ولا غرابة في أن يستأثر التمثيل بأشكال عدّة في التصوير القرآني ذلك أنّ الحرب الدائرة بين القرآن وخصومه قد شكلت الأمثال أهم سلاح فيها يستخدمه الطرفان كلاهما[23] والأمثال في القرآن على قسمان: ظاهر وهو المصرّح به، وكامن وهو الذي لا ذكر للمثل فيه، وحكمه حكم الأمثال[24]

ومن الأمثلة الواردة في الذكر الحكيم قوله تعالى" إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " يونس: آ 24.

قال الزمخشري: هذا من التشبيه المركب[25] وهو تمثيل منتزع من صور عدّة، حيث شبّه الحياة الدنيا بالماء المنزل من السماء ينبت به النبات وتخضرُّ الأرض وتظهر الثمار،[26] " والمثل القرآني لا يقصد إلى التشبيه باعتباره تشبيها، بل باعتباره حاجة فنية تبنى عليها ضرورة الصياغة، والتركيب"[27] فسيق المثل للتحذير من الاغترار بالدنيا، إذ هي معرضة للتلف، كنبات هذه الأرض وخصّ المتفكرين بالذكر، تشريفا للمنزلة؛وليقع التسابق إلى هذه الرتبة[28] ولحصول المقصد من ضرب المثل، وظف المرسل ألفاظا وروابط حجاجية للتأثير في المتلقي، فلفظة (الزخرف) بظلالها اختصرت لنا معنى بلوغ الالتذاذ بمتع الدنيا أقصاه و"الزخرف كمال حسن الشيء"[29]. قال ابن عاشور في تدبّره: "شبّه به بلوغ الانتفاع بخيرات الدنيا إلى أقصاه ونضوجه وتمامه وتكاثر أصنافه وانهماك الناس في تناوله"[30] وساهم مجيء الرابط الحجاجي (حتّى) الذي من معانيه انتهاء الغاية[31] في تصوير مآل زخرف الدنيا ونعيمها، إذ ينتقل بهذا الرابط "من قيمة مرتبطة بالثمرة إلى قيمة مرتبطة بالشجرة"[32] وفي معنى الغاية المستفاد من (حتى) ما يؤذن بأن بين مبدأ ظهور لذات الحياة ومنتهاها مراتب جمّة وأطوار كثيرة، فذلك طوي في معنى (حتى)[33] فبإنعام

النظر والتأمل في هذا المثل وتبين حقيقة الدنيا، بالغ الأثر في نفس المتلقي بعدم الركون إليها والعمل لها كأنها هب الباقية، وليس التخلي عنها جملة، بل على النحو الذي يجعلها دار ممر لا مستقر.

وجاءت أمثال القرآن مرغبة ومرهبة، بلغة حوارية لا سلطوية أو أمرية، فالحجاج الذي احتضنته يتسم بالمعقولية، ويرتكز على قاعدة الفطرة السليمة للمتلقي، ومن تلكم الأمثال قوله تعالى:" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء " إبراهيم: 24-26، ضرب الله عز وجل مثلا للإيمان به،وللكفر به مثلا، فجعل مثل المؤمن في نطقه بتوحيده والإيمان بنبيه واتباع شريعته، كالشجرة الطيبة التي لا ينقطع ثمرها[34] والكلمة الخبيثة: كلمة الشرك[35] "إذ يتطلب الحجاج الاعتماد على الأدلة التي تخاطب الحسّ السليم والعقل القويم الذي يجد نفسه منقادا إلى التسليم بها والقبول بمقتضياتها"[36] وشكلت بنية الاستفهام نسقا حاضنا للخطاب، لاتخاذه بعدا ساعد في إبلاغ الخطاب الإقناعي بصيغته المتضمنة للإنكار والتقرير في آن واحد، ذلك أنّ الاستفهام "أوقع في النفس وأدلّ على الإلزام"[37] ففي ذلك إيقاظ للذهن ليترقب ما يرد بعد هذا الكلام، فالكلام تشويق إلى علم هذا المثل، وهذا غاية الحجاج الجمع بين الامتاع والإقناع، وصوغ التشويق إليه في صيغة الزمن الماضي الدال عليها حرف (لم) التي هي لنفي الفعل في الزمن الماضي والدالّ عليها فعل "ضرب" بصيغة الماضي لقصد الزيادة في التشويق لمعرفة هذا المثل وما مثل به، والاستفهام في "ألم ترى" إنكاري. نزّل المخاطب منزلة من لم يعلم فأنكر عليه عدم العلم، أو هو مستعمل في التعجيب من عدم العلم بذلك مع أنه ممّا تتوفر الدواعي على علمه، أو هو للتقرير، كناية عن التحريض على العلم بذلك، وإيثار (كيف) هنا للدلالة على أنّ حالة ضرب هذا المثل ذات كيفية عجيبة من بلاغته وانطباقه[38] وماذا بعد هذا إلّا الخضوع والإذعان.

وقد جاء ضرب الأمثال في القرآن لتقريب المراد للمتلقي بخصوص ما يعتقده، **فقال تعالى:" مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ "** العنكبوت،الآية: 41، فهذا مثل ضربه الله من الواقع إذ إنّ مادة التمثيل غالبا ما تكون من المحسوس، وهي ممّا يشاهده المتلقي ويُلمُّ به في حياته، فالعنكبوت كائن يوجد حتى في البيوت؛ إذ التمثيل ترشح عن الحاجز اليومي المادي المحسوس، وإنّ المثيل (العنكبوت وبيته) يمثل مادة معروفة، وإنّ مدار الاقناع يتمثل حول توظيف بيته الواهن، بما اتخذه الإنسان من دون الله؛ ممّا يجعل التمثيل يرفع من صلاحية الصورة اليومية لبيت العنكبوت إلى مستوى التأمل المفضي إلى التأثر والإذعان، كما أنّ التمثيل جاء مبنيا على ما متفق عليه؛ لكي يقنع المتلقي بشيء غير متفق عليه[39] الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف

عنها وتصوّرها للأفهام، كما صوّر هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد[40] فلدحض دعواهم أقام عليهم حُجَّة هي من واقع حياتهم المعيشي، مثل محسوس حتى تتلقفه عقولهم، ويحرك أذهانهم، فتتجلى لهم حقيقة أوهامهم عند ربط التشابه بين حقيقة العنكبوت وبيته وبين ما ركنوا إليه من أولياء، وأنهم في نفع أنفسهم عدم فكيف بنفع غيرهم. وعلى هذا يكون التمثيل حاصلا لا بين المشركين والعنكيوت فحسب أو بين الأصنام وبيت العنكبوت فحسب، وإنما هو حاصل بين المشركين في علاقتها بالأصنام وبين العنكبوت في علاقتها ببيتها الواهي، وقد أدرك الزمخشري هذه العلاقة بين البنيات داخل التمثيل فقال[41] "فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوطة بعضها ببعض ومصيّرة شيئا واحدا فلا".[42]

قوله تعالى:" مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " الجمعة، الآية:5. فالتمثيل هم اليهود في علاقتهم بالتوراة كُلّفوا علمها ولم ينتفعوا بها مثل الحمار في علاقته بالأسفار يحملها ولا علم له بمحتواها ولا نفع له به، إنّه لأمر عادي جدا، إذ يحدث يوميا في الحياة أن يحمل الأسفار وغير الأسفار ممّا يخف حمله أو يثقل، فلمثل هذا جعل الحمار. ومن أجل هذا قالت العرب في أمثالها "أصبر من حمار"، والحكم السلبي تحديدا في قوله تعالى"ثم لم يحملوها"[43] فسره الزمخشري "لم يعلموا بها ولم ينتفعوا بآياتها" قال الزمخشري: "الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة"[44]. وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله، وبئس المثل[45] وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه، والمراد من هذا المثل ذمهم[46] ولأجل أن يكون هذا المثل شاملا لكل من أعرض ونأى عن القرآن في أي عصر وأي مصر، جاءت لفظة الحمار نكرة، إذ ليس المراد به حمارا معينا، فهو في حكم النكرة[47] وفي تشبيه اليهود –حملة التوراة– بالحمار الذي يحمل أسفارا، ما يكشف عن طباع هؤلاء القوم، وعن بلادة حسّهم، وعن قبول الهوان والذلّة، وأنّهم في هذه الدنيا أشبه بالحمر، يسخرها الناس للحمل والركوب جميعا، أكثرها هوانا على الناس، وأخسّها مطية للركوب، لا يتخذه كرام الناس مركبا لهم، وقوله تعالى: "بئس مثلا القوم الذين كذبوا بآيات الله" أي بئس هذا المثل وهو الحمار، مثلا لهؤلاء القوم الذين كذبوا بآيات الله. وقد وقع الذمُّ على المثل، ولم يقع على المماثل، وفي هذا مبالغة في الذمّ للماثل، لأنّ الذي وقع عليه الذمّ إنما استحق الذمّ في هذا المقام بسبب من مثّل به، فكأنّ هذا الشيء المذموم لم يكن مذموما حتى اقترن بهذا

الممثّل به، فأصابه منه هذا البلاء الذي استوجب ذمّه[48] وإطلاق الحمل وما تصرف منه على هذا المعنى استعارة، بتشبيه إيكال الأمر بحمل الحِمل على ظهر الدابّة، وبذلك كان تمثيل حالهم بحال الحمار يحمل أسفارا تمثيلا للمعنى المجازي، بالمعنى الحقيقي. وثمّ للتراخي الرُتبِيّ فإنّ عدم وفائهم بما عهد إليهم أعجبُ من تحملهم إياه.[49] فيكون وجه التأثير، أن من أراد أن يتميز عن الحمار، فليعمل بما يعلم، وإلا فهو أخس من هاته الدابة التي لا تعقل.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في رحاب الأمثال القرآنية والوقوف عند أبعادها الحجاجية، كان من أهم ماخرج به البحث من نتائج:

_ أنّ الأمثال القرآنية التي ضربها الله لعباده هي أمثال مادتها مستوحاة من واقع المخاطبين، فتكون بذلك أكثر حجاجية نظرا لقربها من المتلقي وذلك مدعاة إلى تقبلها وتمثلها.

_ إن الغرض الرئيسي من المحاجة هو الاقتناع، لذلك اعتمدت الأمثال القرآنية أشكالا تصويرية فنية مختلفة كالتشبيه، فجمعت بين البعد الجمالي والبعد الحجاجي، وسخرت البعد الجمالي للإقناع.

_ الأمثال القرآنية ذو طبيعة حجاجية، موجهة لجميع المخاطبين، والمتلقي لها متلقي مخصوص، إذ من سمتها أن لا يعقلها إلا العالمون.

_ تبرز علاقة الحجاج بالمثل، في أنه تشبيه قائم بين طرفين، والمنطقة الشاغرة هي التي يشتغل فيها الحجاج، لأنها تعمل على إثارة ذهن المتلقي لاستكشاف تلك العلاقة، فيحصل التأثير والاقتناع.

الإحالات والهوامش:

1- زكرياء أحمد بن فارس،مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ- 1979م، 30/2.

2- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان 1407هـ- 1987م، 304/1.

3- ينظر: جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان- بيروت، الطبعة الثالثة: 1414هـ، 226/2-228.

4- زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، 1410هـ- 1990م، ص 136.

5- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، 1998م، ص 226.

6- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن- إربد، 1432هـ- 2001م، ص 21.

7- ينظر: إيماني سعد، دروس في الحجاج الفلسفي، مجلة الشبكة التربوية فيلو مرتيل الالكترونية، 2008، ص 5-17.

8- إيماني سعد، دروس في الحجاج الفلسفي، ص 13.

9- هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، الأثر، مجلة الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر، العدد الخامس، مارس، 2006م، ص 191.

10- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب- الدار البيضاء، 2000م، ص 65.

11- ينظر: أمال يوسف المغامي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، الدار المتوسطية للنشر، الطبعة الأولى، 1436هـ- 2016م، ص132-13.

12- زكرياء أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، 296/5.

13- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت، الطبعة الثامنة: 1426هـ- 2005م، 1056/1.

14- أبي البقاء الكفوي، الكليات،تح: عدنان الدرويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1419هـ- 1998م، ص 852.

15- أبي سعود بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح: عبد القادر أحمد العطاء، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، 87/1.

16- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، مصر- القاهرة، ص 1/ 487.

17- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، جدة، ص 115- 116.

18- عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى: 1982م- 1402هـ، ص 275.

19- بروتون فيليب- جوتيه جيل، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي، مركز النشر العلمي، الطبعة الأولى: 1432هـ- 2011م، ص 52-53.

20- عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج –الخطابة الجديدة- بيرلمان وتيتكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة- تونس، ص 336.

21- المرجع السابق، ص 339.

22- اسحاق بن إبراهيم بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: حنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة، ص 37.

23- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان- البيروت، الطبعة الثالثة، 2007م. ص 549.

24- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان غي علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، مصر- القاهرة، ص 1/ 486.

25- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، مكتبة العيكان، الطبعة الأولى (1418- 1998م)، 129/3.

26- عبد الكريم بن هوزان القشيري، لطائف الإشارات، تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة الثانية (2007م)، 12/2.

27- محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد للنشر، العراق 1981، ص 350.

28- عبد الرحمان بن محمد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: محمد علي عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ- 1997م، 243/3.

29- إبراهيم السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى: 1408هـ- 1998م، 15/3.

30- محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس (1984)، 142/11.

31- جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن مبارك- محمد علي عوض الله حمد الله، 131/1.

32- بروتون فيليب وجيل جوتيه، في تاريخ نظريات الحجاج، ص50.

33- محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 143/11.

34- الزجاج، معاني القرأن الكريم، 160/3.

35- محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 224/13.

36- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديدة، الطبعة الأولى – يناير 2010، ص 52.

37- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 1417هـ- 1997م، ص 190.

38- محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 223/13.

39-كاظم مثنى، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات الاختلاف- الجزائر العاصمة، منشورات الضفاف- بيروت، الطبعة الأولى، 1436هـ- 2015م، ص 176.

40- محمد بن عمر الزمخشري، الكشاف، 455/3.

41- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 550.

42- محمد بن عمر الزمخشري، الكشاف، 212/1.

43- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 550.

44- محمد بن عمر الزمخشري، الكشاف، 211/1.

45-محمد بن عمر الزمخشري، الكشاف، 539/4.

46- علاء الدين بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ، 290/4.

47- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير،دار بن كثير، دمشق، الطبعة الأولى: 1414هـ، 268/5.

48- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 14/ 947.

49- محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 214/28.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا: الكتب:

ـ إبراهيم السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ- 1998م.

ـ أبي البقاء الكفوي، الكليات،تح: عدنان الدرويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1419هـ- 1998م.

ـ أبي سعود بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح: عبد القادر أحمد العطاء، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

ـ اسحاق بن إبراهيم بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: حنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة.

ـ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1407هـ- 1987م.

ـ أمال يوسف المغامي، الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية، الدار المتوسطية للنشر، الطبعة الأولى، 1436هـ- 2016م.

ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان غي علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، مصر- القاهرة.

ـ بروتون فيليب- جوتيه جيل، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي، مركز النشر العلمي، الطبعة الأولى، 1432هـ- 2011م.

ـ جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان- بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ .

ـ جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن مبارك- محمد علي عوض الله حمد الله.

ـ رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديدة، الطبعة الأولى – يناير ،2010م.

ـ زكرياء أحمد بن فارس،مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ- 1979م.

ـ زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، 1410هـ- 1990م.

ـ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن- إربد، 1432هـ- 2001م.

ـ طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي 1998م.

ـ طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب- الدار البيضاء 2000م.

ـ عبد الرحمان بن محمد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: محمد علي عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1997م.

ـ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، جدة.

ـ عبد الكريم بن هوزان القشيري، لطائف الإشارات، تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة الثانية، 2007م.

ـ عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.

ـ عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى 1982م- 1402هـ.

ـ عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج –الخطابة الجديدة- بيرلمان وتيتكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب منوبة- تونس.

_ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان- البيروت، الطبعة الثالثة، 2007م.

_ علاء الدين بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ

_ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417هـ- 1997

_ فيليب بروتونى وجيل جوتيه، في تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي، مركز النشر العلمي، الطبعة الأولى 1432هـ- 2011م.

_ كاظم مثنى، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات الاختلاف- الجزائر العاصمة، منشورات الضفاف- بيروت، الطبعة الأولى، 1436هـ- 2015م.

_ محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير،دار بن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، 1414هـ .

_ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت، الطبعة الثامنة، 1426هـ- 2005م.

_ محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981.

_ محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984.

_ محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة التاسعة 2009م .

_ محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، مكتبة العيكان، الطبعة الأولى 1418- 1998م.

ثانيا: المقالات:

_ هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، الأثر، مجلة الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر، العدد الخامس، مارس 2006م.

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

_ إيماني سعد، دروس في الحجاج الفلسفي، مجلة الشبكة التربوية فيلو مرتيل الالكترونية، 2008.